الذوق الجمالي في الثقافة الإسلامية
Aesthetic taste in Islamic culture

د بن عثمان فهيمة
جامعة الوادي –الجزائر
benatmane-fahima@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام 2024/05/27 تاريخ القبول 2024/06/28

الملخص

يظهر الاهتمام بالذوق الجمالي جليا في ثقافتنا الإسلامية ، سواء من خلال تتبعنا لما جاء في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، فقد ارتبطت العبادات بالطهارة من خلال وجوب الغسل و الوضوء، و الطهارة ترمز للجمال و النظافة في البدن و الرائحة الطيبة التي تتحقق بفضلهما، و ارتبطت العبادات بنظافة و طهارة المكان و التحرز من كل نجس، و ارتبطت الصلاة بالمساجد التي يلبس المسلم لها أجمل الثياب ، وارتبط جمال المسلم بجمال روحه و تطهيرها من كل أمراض القلوب ، كما ارتبط المسلم في علاقاته بإخوانه بجميل الأخلاق ، و يحرص المسلم على البيئة النظيفة و الاعتناء بالطبيعة، و في الإسلام نهي عن الخيلاء في المشي و نهي عن رفع الأصوات و غيرها من مظاهر اهتمام الإسلام بوجود الذوق الجمالي في كل مجالات حياتنا ، و هذا البحث يسعى لإظهار هذا الاهتمام بجميل المظهر و السلوك و التفكير في الإنسان المسلم .

ملخص.

الكلمات المفتاحية: الذوق، الجمال، النظافة ، جمال الروح ، جمال الطبيعة .

Abstract:

The interest in aesthetic taste appears clearly in our Islamic culture, whether by following what is stated in the Holy Qur'an or the Noble Prophet's Sunnah. Worship has been linked to purity through the necessity of washing and ablution, and purity symbolizes beauty and cleanliness in the body and the pleasant smell that is achieved thanks to them. Worship was linked to the cleanliness and purity of the place and avoiding every impurity. Praying in mosques was linked to wearing the most beautiful clothes. The beauty of a Muslim was linked to the beauty of his soul and its cleansing of all diseases of the heart. The Muslim was also linked in his relationships with his brothers to beautiful morals, and he was keen on a clean environment and

taking care of nature. In Islam, it is forbidden to show off when walking and to raise one’s voice. Other manifestations of Islam’s interest in the presence of aesthetic taste in all areas of our lives, and this research seeks to show this interest in the beautiful appearance, behavior and thinking of the Muslim person,

Keys Words: *Taste, beauty, cleanliness, beauty of the soul, beauty of nature*

مقدّمة:

تشكل الثقافة الإسلامية الإطار الذي يتحرك فيه الإنسان المسلم سواء كان هذا المسلم يعيش في المجتمع الإسلامي أو خارجه، فهذه الثقافة الإسلامية تضبطه و تميزه في عالمه الروحي و الفكري و السلوكي أينما كان، و من الأمور التي تظهر جلية في ثقافتنا الإسلامية الذوق الجمالي، الذي يجعل الإنسان المسلم إنسانا متحضرا وهو يؤدي العبادات و هو يعيش في محيطه الاجتماعي و في علاقاته مع الناس و في علاقته مع الطبيعة و قبل كل ذلك في علاقته مع نفسه.هذا الذوق الجمالي الذي يربي عليه الإسلام المسلم منذ مجيئه إلى الحياة ، فيعلمه كيف يعتني بجسمه و صحته الروحية و العقلية و النفسية ليكون شفافا ناجحا ، كما تعلمنا ثقافتنا الإسلامية أسلوب المشي و الحوار و الحديث ، و كيف نتعامل مع أخينا الإنسان بغض النظر عن توجهه و جنسه أو انتمائه. تطرح هذه الدراسة إشكالية تسعى للإجابة عليها و هي : كيف ندلل على وجود الذوق الجمالي في ثقافتنا الإسلامية ؟

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي لأنها بصدد وصف ما توجهنا إليه النصوص القرآنية و الحديثية التي تعكس العناية بالذوق الجمالي. ، لأنها ستصف المجالات التي يظهر فيها الذوق الجمالي في ثقافتنا الإسلامية. أما الأحاديث الواردة في الدراسة فسأخرّجها تخريجا آليا.

يهدف البحث إلى النظر في القرآن الكريم و السيرة النبوية الشريفة لإظهار هذا الاهتمام بجميل المظهر و السلوك و التفكير عند الإنسان المسلم ، فتصير حركته في محيطه كلها نظام و ترتيب و نظافة وطهارة و جمال في كل مجالات حياته، في البدن و في المكان الذي يعيش فيه، وفي قلبه و تفكيره و في نيته، و في العلاقات مع الآخرين، و في المحيط الذي يعيش فيه

العنوان الرئيسي الأول: مدخل مفاهيمي

العنوان الفرعي الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية

أولا: الثقافة في اللغة :

وردت كلمة ثقافة في المعاجم اللغوية بمعنى:

- إدراك الشيء و الحصول عليه

- تقويم المعوج و تسويته
- المثاقفة و الملاعبة بالسيف

و من المعاني و الدلالات المعنوية التي وردت بها كلمة ثقافة في المعاجم العربية :

- الحذق و الفطنة و الذكاء
- التأدب و التهديب
- إدراك العلوم و ضبط المعرفة المكتسبة
- تنمية الفكر و المواهب [1]

عرفها المجمع اللغوي بأنها جملة العلوم و المعارف التي يطلب فيها الحذق[2].

تكاد معاجم اللغة تجمع على أن الثقافة مأخوذة من ثقف الشيء وهو سرعة التعلم ، و ثقفت الشيء حذقته،و الثقيف هو الحاذق الفطن3 ، فإذا ما عدنا إلى لغة العصر حتى عهد العباسيين لا نكاد نجد هذه الكلمة في استعمال المسلمين ، إلا أننا نجد هذا الفعل في القرآن الكريم ، ثقف، فهذا يبين أن للفعل أصل لغوي يتصل بتاريخه بلغة ما قبل الإسلام،[*وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ*] (سورة البقرة : 191) و نتيجة لهذا فالكلمة لم تكتسب بعد قوة التحديد الضرورية لتصبح علما على مفهوم معين لأنها مستعارة من أوروبا 4.

ثانيا: الثقافة في الاصطلاح: يعرف مالك بن نبي الثقافة بأنها مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، و تصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه5، و يرى أن: الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة المجردة6

من خلال تعريف مالك نبي يتبين لنا أن الثقافة عبارة عن صفات أخلاقية يتصف بها الإنسان و قيم يعيش بها في المجتمع . و هذا التعريف يضم فلسفة الفرد ، حيث تطبع سلوكه ، كما تضم فلسفة الجماعة فتنظم أسلوب حياتهم، فسلوك الإنسان و أسلوب حياته و علاقته بالآخرين هو في الحقيقة نتاج المجتمع الذي ينشأ فيه ، فهو يستنشقها من المحيط الذي يتربى فيه كما يتنسم الأكسجين، لذلك فردة الفعل، و تصرفات أبناء المجتمع الواحد تكون مشابهة حتى و إن اختلفت مستوياتهم المادية ، و العلمية ، لأن البيئة التي تربوا فيها واحدة، لذلك تجد أبناء المجتمع الواحد ردة فعلهم اتجاه الحوادث و المشكلات وانطباعاتهم واحدة .

فالإنسان حين يولد في مجتمع معين بالضرورة سيمتص و يصطبغ بما في مجتمعه من ألوان و روائح و أصوات و حركات و ظلال و أشكال و صور..كل هذه العناصر تتجمع لتندمج و تذوب في أنفسنا فتنطبع شخصيتنا بها، و تكون أساسا لتصرفات و سلوكات أبناء ذلك المجتمع في أخلاقهم و تفكيرهم ، ذلك أن الثقافة هي المحيط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياتنا7

فالثقافة هي المحيط الفكري و النفسي و الاجتماعي الذي يحتضن الوجود الإنساني في المجتمع، و يدعمه بالخبرة المعرفية و السلوكية و الأخلاقية و الجمالية، فتتشكل في هذا المحيط طباعه و شخصيته و ذوقه ، و تحكم علاقته بالسنن التي في الأنفس و الآفاق، فالثقافة نظرية في المعرفة و منهج في السلوك و منهجية في العمل و البناء8

و عرفت الثقافة أيضا بأنها مجموعة من العلوم و الفنون و المعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان فتكسبه أسباب الرقي و التقدم و الوعي.[9]

و الفرق بين هذا التعريف و تعريف مالك بن نبي ، أن هذا التعرف يرى أن الثقافة معارف نظرية ، في حين يرى مالك بن نبي الثقافة قيما سلوكية نعيش بها تنعكس في أخلاقنا و مشاعرنا و تصرفاتنا اليومية .

ثالثا: الثقافة الإسلامية : هي مجموعة من المعارف و التصورات و العلوم النظرية التي تدور في فلك الإسلام لتنبثق عنها فكرة شاملة عن الكون و الإنسان و الحياة التي تؤثر في الفرد و المجتمع فتضفي عليهما طابعا معينا.فالثقافة الإسلامية تستمد كيانها من الإسلام متمثلا في كتاب اللّه عز وجل و سنة نبيه صلى اللّه عليه و سلم.[10]. و هي الصورة الحية للأمة الإسلامية ، تحدد ملامح شخصيتها و قوام وجودها ، و هي التي تضبط سيرها في الحياة و تحدد اتجاهها فيه، إنها عقيدتها التي تؤمن بها و مبادئها التي تحرص عليها و نظمها التي تعمل على التزامها و تراثها الذي تخشى عليه من الضياع و الاندثار ، و فكرها الذي تود له الذيوع و الانتشار[11] .

ميزة الثقافة الإسلامية أنها تستند إلى الكتاب و السنة و هذه ميزة لها عن باقي الثقافات في العالم، ولا شك أن الوحي يوجه تفكير البشر و تصوراتهم ، مما أكسب الثقافة الإسلامية ميزة الخلود، فمصدرها رباني، كما تتميز بالثبات ، فهي تضبط الإنسان المسلم ، تضبط سلوكاته و تفكيره و تصرفاته،فلا يحيد عن الطريق المستقيم ، فإذا ما التزمها فانه لا يحيد عن الصواب، و هي منفتحة غير منكمشة على نفسها ، فهي لا تنبذ ما تتمخض عنه أدمغة البشر.و هي ثقافة عالمية منفتحة لا تضع حسابا للون الإنسان أو بلده أو جنسه مادامت القاعدة عند الإنسان المسلم أن كل بني آدم مكرم.

كما تتميز بالايجابية حيث تلزم الإنسان العمل حسب طاقته و إمكانياته و مواهبه، و تحذر بشدة من التواكل و التخاذل و التباطؤ و التكاسل، بل يجب على المسلم أن يؤثر في المحيط حوله، و يكون فعالا في دنياه و دنيا غيره.و تمتاز الثقافة الإسلامية بميزة الشمول ، لأنها تقدم للبشرية تصورا كاملا، اعتقادا و منهجيا للواقع صالحا لكل زمان و مكان .[12]

رابعا: الذوق الجمالي:

1 _ الذوق : في اللغة: للتذوق معاني كثيرة و أصله ذاق من "الذوق" و التذوق شيء آخر غير الحاسة التي في الجهاز الحسي في الفم و مركزها اللسان و التي يميز بها الإنسان خواص الطعم و الأشياء ، و من معانيها ذاق عند فلان، أي خبره، و أتذوقه ، ذاقه شيئا بعد شيء، و أمر مستذاق أي مجرب معلوم ،و الذوق و التذوق في الأدب هو اسم وصفة لحاسة معنوية تصدر عن انبساط النفس.[13]

و هو مصدر من ذقت الشيء أو ذوقه، فهو مذاقا، و الذوق في الأصل تعرف الطعم، ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة.

إن لفظة الذوق عند العلماء لا تقتصر على ما يذاق باللسان، بل تتعدى إلى معنى أجمع و أوسع ، و هو تذوق الجمال في اللفظة و الجملة و المعاني، فالكلام يذاق كما يذاق الطعام، فكلما كان التنسيق و التلاؤم حسن في الذوق.

الذوق عبارة عن آداب السلوك التي تقتضي معرفة ما هو لائق أو مناسب في موقف اجتماعي معين، فالإنسان إذا كان ذا معرفة بالتصرف المناسب لكل موقف ، و لم يخرج عن الأدب و العرف ، و نقول : فلان لديه ذوق، أي ملتزم بأدب السلوك.

2_ الجمال : في اللغة الحسن في الخَلق و الخلق، و جمُل ككرم، فهو جميل كأمير، أي أن الجمال هو كل شيء مبهج يتجلى في الطبع و السجية و الحياء و الأخلاق ، و كلها صفات يحملها الإنسان،و كما أنه يكون في كل ما هو مرتب و منسجم و متناسق يبعث الإثارة في النفس، و الجمال في اللغة يتسم بالرقة و الحسن و البهاء ، و ينبئ عن الخلق الحسن و الفعل الحسن.[14] و قال ابن فارس: عظم الخلق و حسنه، إن الجمال معانيه تدور حول الحسن و النظرة و الزينة .[15]

مفهوم الجمال عند الشعراء و المفكرين إدراك حسي ، فالحواس هي التي تدرك الجمال، و هناك جمال معنوي، الذي يدرك بالبصيرة ، و الجمال عالم مستقل بذاته ،له قوانينه الخاصة به، و هي قوانين تدركها المشاعر وحدها، فلا يقاس جمال الأشياء بقدر ما فيها من تعقيد أو من تسلسل منظم، بل إن أقسام الجمال تهب حينما تشاء.[16]

و عرف أيضا بأنه الاستجابة الوجدانية لمؤثرات الجمال الخارجية ، و هو اهتزاز الشعور في المواقف التي تكون فيها العلاقات الجمالية على مستوى رفيع فيتحرك لها وجدان الإنسان بالمتعة و الارتياح.[17]

إن دور الأشياء الجميلة هو الإيحاء و الخيال الجميل لأن الأفكار تتولد من الوسط الاجتماعي ، فالجمال الموجود في الوسط من أصوات و ألوان و حركات و أشكال توحي للإنسان بالأفكار ، و تدعوه إلى الإحسان في العمل فضلا عن ذلك الإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال ، ذلك أن الحضارة لا تتكون إلا في إطار الجمال،

فإذا كانت هذه هي حقيقة الجمال فانه علينا أن نتمثله في بيوتنا و شوارعنا و مقاهينا، و بذلك يثيرنا أي نشاز في الأصوات أو الألوان.18

الذوق الجمالي إجرائيا هو كل ما يعجب الإنسان و يستحسنه و يستصيغه، و تأنس إليه الروح و ترتاح له، و يحرك شعورها النفسي و يصل إلى الروح و تتقبله النفس و تطمئن إليه ، كالمناظر الطبيعية أو الأحاديث، أو الحركات ، أو التصرفات أو المناظر في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان أو في الشارع أو البيت ..الخ

العنوان الفرعي الثاني : مفردات المنظومة الثقافية وظيفتها

أولا : مفردات المنظومة الثقافية

لما كان للثقافة الموقع المحوري في حركة التجديد و البناء ، لأنها تشكل طباع الإنسان و أخلاقه و أذواقه و منهج سلوكه و منهجية عمله.وضع مالك بن نبي محاورا لها إذا ما استوفت أتت أكلها في بناء الإنسان و إعداده ، و بذلك يكون المجتمع قادرا على النهوض و التطلع إلى الحضارة ، و المحاور التي حددها ابن نبي للمنظومة الثقافية هي:

أ_ التوجيه الأخلاقي، لتكوين الصلات الاجتماعية

ب: التوجيه الجمالي لتكوين الذوق العام

ج_ المنطق العملي ، لتحديد أشكال النشاط العام

د_ الصناعة ، أو الفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع19

المبادئ الأخلاقية ضرورية لاستقرار المجتمع و لكي لا يعيش في فوضى ولا نظام ، وجدت الأخلاق لتميز الإنسان عن الحيوان، لأن الأخلاق تهدي الغريزة و توظفها بطريقة سامية ، تأتي الأخلاق مع الرسالات لتربط أفراد المجتمع فيما بينهم .إضافة لذلك الارتقاء بالأخلاق و السلوك الإنساني هو الهدف الأساسي للحضارة . إن العنصر الأخلاقي يقوم ببناء عنصر هام و مؤثر في غيره من عناصر

الحضارة و هو الإنسان الذي يتحكم في الأشياء و المفاهيم و يشغل الزمن بساعات عمل و إنتاج ، فالجانب الأخلاقي يحدد الاتجاه العام للمجتمع و دوافعه و غاياته.

الذوق الجمالي: تكمن أهمية الجمال في أنه يمكّن الإنسان من الحياة في نظام و ترتيب ، و في جو النظام تغيب الفوضى ، فيتمكن الإنسان من إنتاج الأفكار التي تبني المجتمع و تطوره، ذلك أن الصور التي تحيط بالإنسان لها تؤثر تأثيرا كبيرا في فكره و أعماله و مساعيه في الحياة .

و المتأمل في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة سيكتشف أنهما أوليا اهتمامهما بالذوق الجمالي و النظام و طهارة النفس و الجسم و الثياب و المحيط و إماطة الأذى عن الطريق و دعوة للكلام الطيب .. و هي نماذج هذا النزوع الإسلامي لتربية المسلم عن الذوق الجمالي و غرسه في الشخصية الإسلامية .

و المنطق العملي يعني أن يكون المجتمع فاعليا يستغل ما عنده من إمكانيات ووسائل و طاقات ، و أن لا يدع ساعاته تمر فراغا، بل يحول تلك الساعات إلى ساعات عمل و إنتاج.لابد للمجتمع من معرفة إمكانياته و قدراته و تحديد أهداف العمل، والوسائل المتاحة له، حتى لا يبدد المجتمع إمكانياته و طاقاته في مشاريع لا تستحق كل ما بذله من أجلها.لابد للمجتمع أن يحسن التقدير و التدبير لمشاريعه.

التوجيه الفني أو الصناعة : و المقصود به هو أن نوظف طاقاتنا في العمل الصناعي المفيد للمجتمع، و أن نستغل كل الطاقات و القدرات في العمل الصناعي، لأن الإنتاج يحافظ على المجتمع من التبعية و يحافظ على وجود المجتمع ، لأن الصناعة وسيلة لكسب أفراد المجتمع للدخل، و الحفاظ على الكرامة ، و يضمن بها المجتمع تطوره واستمراره.

ثانيا: وظيفة الثقافة

يتولى المجتمع تشكيل أبنائه على عاداته، و يطبعهم بطابعه الأخلاقي، و يضبطهم بقواعده و عاداته و تقاليده، فالمجتمع هو الذي يكيف أفراده وفق اتجاهه، فيندمج الأفراد في نطاق المجتمع ، فيصبحون بمثابة التعريف به ، و يصبح مجتمعهم بمثابة المعرف لهم، فتكون علاقة المجتمع بالأفراد علاقة إرغام اجتماعي، يضبطهم هو فلا يخرجون عن ضوابطه، و يتحمل الأفراد مسؤولية النقد اتجاه مجتمعهم ، فلا يسمحون بحدوث الخروقات فيه من طرف بعض الأفراد، فالمجتمع يتحمل مسؤولية الإرغام، و الفرد يتحمل مسؤولية النقد، هذا النقد الذي يأتي من الصحفي أو الأديب أو الخطيب، أو من الإنسان العادي في إطار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[20].

إن المجتمع المتحضر يقع فيه كل خطأ في سلوك الأفراد تحت إرغام المجتمع ، و يقع فيه كل خطأ في الأسلوب تحت طائلة النقد ، و بهذا يحافظ المجتمع على نقاوة أسلوبه، و اعتدال سلوك أفراده، و هذا الالتزام المتبادل هو الذي عرف القرآن به المسلمين حين أراد التعريف بهم فقال: [كنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (سورة آل عمران110)

كما أن هذا المبدأ قد تناولته السنة في حديث السفينة:" مثل القائم في حدود الله و الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها و بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا فإن تركوهم و ما أرادوا هلكوا جميعا و إن أخذوا على أيديهم نجوا و نجوا جميعا".[1] فالذين في قاع السفينة يمثلون الشذاذ و ضروب السلوك الهامشية الذين يتولى الضغط الاجتماعي إرغامهم على الخضوع لمبادئ المجتمع ليبقى آمنا.

أما موقف الفرد الاستنكاري أو الناقد فقد فهو تغيير المنكر ، فالثقافة في المجتمع وظيفتها الدفاع عن التراث ، و أن تصنع تلك اللحمة و الالتزام بين الفرد و المجتمع ، فلا يسمح المجتمع لأبنائه بالخروج عنه ، و أيضا يتحمل الفرد في المجتمع مسؤولية النقد ولا يسمح بالمنكر و الخروقات التي تحدث في المجتمع ، ولا يرى أنها لا تعنيه.

فدور الثقافة إذا هو خلق اللحمة الاجتماعية ، بحيث يصبح فيها الالتزام متبادل بين الفرد و المجتمع ، كما في حديث السفينة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و المجتمع المتحضر هو الذي لا يسمح أن يكون فيه أي انفصال بينه و بين أفراده، فيفقد السيطرة عليهم و على توجيه سلوكهم وفق الهدف الذي يرسمه المجتمع لنفسه.

العنوان الرئيسي الثاني: مظاهر الذوق الجمالي في الثقافة الإسلامية

العنوان الفرعي الأول : طهارة البدن و جمال القلب و المعاملة

يظهر الاهتمام بالذوق الجمالي جليا في ثقافتنا الإسلامية ، سواء من خلال تتبعنا لما جاء في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، حر ص الإسلام على وجود الذوق الجمالي في كل حياتنا فنتحرك و نعيش في جو من الجمال داخل بيوتنا و في الطبيعة و أسلوب حديثنا و أصواتنا وأبداننا و روائحنا ، فيعيش المسلم في جو كله نظام و ترتيب و ذوق .

ــ حديث " مثل القائم.. " أخرجه البخاري و مسلم[1]-.

أولا : طهارة البدن و جماله

ترتبط أغلب العبادات في الإسلام بالطهارة ، فلا تصح الصلاة مثلا بلا غسل أو وضوء ، و الطهارة ترمز للجمال و النظافة في البدن و الرائحة الطيبة التي تتحقق بفضلهما، و بما أن الصلاة خمس مرات في اليوم موزعة على أوقات عديدة فان المسلم يكون دائما على طهارة و نظافة ، ولا يخفى على أحد أن طهارة البدن لها انعكاس حسن على نفسية الفرد حيث يشعر بالارتياح و الحيوية و النشاط.

الوضوء ليس مجرد تنظيف للأعضاء الظاهرة فحسب وليس مجرد تطهير للجسد يتوالى عدة مرات في اليوم، بل إنه يؤثر نفسيا في السمو الروحي الذي يشعر به المسلم بعد الوضوء[21]

كما ارتبطت الصلاة كذلك بنظافة و طهارة المكان ،و التحرز من كل نجس لذا يحرس المسلم على نظافة بيته من كل الأوساخ ، فيعيش في بيت نظيف و مرتب، ولا شك أن نظافة المكان تبعث في الروح الإحساس بالجمال و النقاء و ارتياح النفسية . و قد شدد الإسلام في مسألة التحرز من النجاسات ، و إلا تكون العقوبة العذاب في القبر .

و ارتبطت الصلاة بالمساجد بالتطيب و لبس أجمل الثياب و سن لها البياض على وجه الخصوص، مع تجنب كل أنواع الأكل التي ترتبط بالروائح غير الطيبة كالبصل و الثوم،فمن احترام الفرد للمجتمع أن لا يأكل هذه المأكولات و هو متوجه للقاء الجماعة، وقد حرس النبي صلى الله عليه و سلم على السواك لأنه مطهرة للفم ، و قال :" لولَا أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتهمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ". [2]

ثانيا : جمال القلب (الجانب الروحي):

يرتبط جمال المسلم بجمال روحه و تطهيرها من كل أمراض القلوب، لتكون نفسه شفافة ناصعة بعيدة عن الحقد و الحسد و الغل ، كما ارتبط المسلم في علاقاته بإخوانه بجميل الأخلاق، حيث يلقاهم بوجه طلق و الابتسامة و السلام و الكلمة الطيبة، حتى في النصح لا يجرح مشاعرهم فينبه بأسلوب ما بال أقوام يفعلون كذا و كذا .

المسلم جميل في نيته، فالنية الحسنة لها الأجر و الثواب ،و يحرص الإسلام على أن يعيش المسلم بقلب نقي سليم و أن لا يبيت الإنسان الحقد في قلبه اتجاه إخوانه من المسلمين ، و أن لا يتمنى الشر للناس ولا يحسدهم و يتمنى زوال نعم الله عليهم ، ولا يحمل لهم البغض و الكره.ذلك أن أمراض

ــ حديث " لولا أن أشق... " أخرجه البخاري و مسلم[2]-.

القلوب خطيرة على الإنسان، و تعكر صفو حياته و مزاجه و صحته، لذلك لم يُرد الإسلام للمسلم أن يفكر في الانتقام و رد السيئة بالسيئة ، بل حثه على العفو قال تعالى :" وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"(آل عمران 3)، و يقول أيضا: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (فصلت 35)

ثالثا: جمال الأخلاق و التعامل مع الناس:

وإذا كانت الصلات الاجتماعية يحددها المبدأ الأخلاقي فان الذوق الجمالي له دور فيها لذا تتداخل فيها الاعتبارات الشكلية ، من خلال الأحاديث النبوية نلمس مراعاة النبي صلى الله عليه و سلم لهذه الاعتبارات الذوقية ، فنراه مثلا حينما يريد أن ينبه إلى خطأ صدر عن أصحابه نجده يقول:" ما بال أقوام يفعلون كذا و كذا"[3] رواه البيهقي، و نلمسه كذلك في قوله للصحابة:"من أكل لحم جزور فليتوضأ"[4]

حيث أمر الجميع بالوضوء لكي لا يحرج الذي أحدث، فحتى تعاملاتنا مع الناس يجب أن لا يكون فيها إحراج و أذى.و ينبه النبي صلى الله عليه و سلم بستر الصدقة حيث لا تعلم اليد اليمين ما أنفقت اليد الشمال ، ليرفع الحرج عن الفقراء و يحافظ على مشاعرهم و كرامتهم.

حتى في النصيحة لم يكن رسول الله صلى الله عليه و يسلم يجرح مشاعر الناس ، كان ينبه بأسلوب ، ما بال أقوام يفعلون كذا و كذا، كل ذلك لرفع الحرج عن المسلم و كذا الابتعاد عن التشهير بالناس لأنه ليس من الإسلام، الذي يدعو إلى الستر ، وكان صلى الله عليه وسلم حريص على حفظ ماء الوجه لأصحابه و عدم إحراجهم .

فالنبي صلى الله عليه و سلم يدرك ما للجمال من أثر في النفسيات حين نراعيه، و ماله من دور في ربط الصلات حين نلتزمه في تعاملاتنا22

يأمرنا الإسلام باللين في التعامل، فما كان اللين في شيء إلا زانه و ما نقص من شيء إلا شانه، حتى الدعوة إلى الله نراعي فيها الحكمة و الموعظة الحسنة ، و الابتعاد عن التعنيف و التجريح، و قد بين القرآن الكريم سبب محبة الناس للنبي صلى الله عليه و سلم بقوله: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] (آل عمران159)

---

[3] ــ حديث " ما بال أقوام... " رواه البيهقي.

[4] ــ حديث " من أكل لحم... " رواه أحمد.

و قد مدح القرآن الكريم النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال عظم أخلاق النبي صلى اللّه عليه و سلم ،لذا الإنسان المسلم أن معروف بجمال أخلاقه، و بينت تعاليم الإسلام كثيرا من التصرفات إذا التزم المسلم تعم المحبة في المجتمع ، كإفشاء السلام ، و الابتسامة .

السلام يزرع المحبة و كذلك لقاء الإخوان بالابتسامة ، ليس من الذوق أن نلقى الأقارب و الجيران و الأصدقاء و الإخوان بوجع عبوس و مكشر ، الابتسامة لها رونق وجمال، و تعابير تضفي على وجه صاحبها الراحة والسرور،و القبول من طرف الآخرين ، و قد رتب عليها النبي صلى اللّه عليه وسلم أجراً عظيماً، فقال صلى اللّه عليه وسلم: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة"5، ومعنى الحديث، أنّ إِظْهَارَك الْبَشَاشَةَ إِذَا لَقِيت أخاك المسلم، تُؤْجَرُ عَلَيْهِ كَمَا تُؤْجَرُ عَلَى الصَّدَقَة.

حث الإسلام على ضرورة رد الإحسان بالإحسان قال تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن 60)و هذه الآية تحث على رد الجميل و الاعتراف به لأنه يديم المحبة بين الناس،

يحث الإسلام على جمال العلاقات ، وجميل الأخلاق حيث يلقاهم بوجه طلق و ابتسامة و السلام و الكلمة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة في الإسلام صدقة، و هي سبب عظيم في تطييب قلوب الناس، وإدخال السرور في قلوبهم.

و نهى الإسلام عن صفات سيئة تفسد جمال العلاقات و الأخوة بين الناس كالتجسس و التنابز بالألقاب و الغيبة و سوء الظن و الغيبة.

من جمال العلاقات بين الناس التعاون " إن اللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"6 الإحسان و الأمان ، لذلك كان صلى اللّه عليه و سلم يوصي بالجار، و شدد في المسألة حين قال :" واللّه لا يؤمن .. من لا يأمن جاره بوائقه"7، و ليس معنى هذا أن المسلم معصوم عن الخطأ، بل المسلم يسارع إلى طلب الصفح و تصحيح خطئه إذا أخطأ، فهذا أحد الصحابة ينادي بلال رضي "اللّه عنه بابن السوداء" فقال له النبي صلى اللّه عليه و سلم:" انك امرؤ فيك جاهلية "8، و سرعان ما يشعر بخطئه و يسارع لطلب العفو .

---

[5] ـ حديث " ابتسامة ... " أخرجه الترمذي.

[6] ـ حديث " *ان الله في عون* ... "رواه مسلم.

[7] ـ حديث " *.. من لا يأمن جاره بوائقه* ... "رواه الشيخان.

[8] ـ حديث "انك امرؤ فيك جاهلية ... "رواه البخاري.

يربى الإسلام الفرد المسلم على الانشغال بالنفس و من خلال غض البصر و صرفه عن المحرمات ، و خفض الصوت ، لأن الأصوات المرتفعة تثير الانزعاج في النفوس و النشاز، قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ](الحجرات 2) ، و في وصايا لقمان لابنه:((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ](لقمان 3)،و قد قال الشيخ العثيمين أنه يدخل في خفض الصوت أصوات المزامير و الغناء الذي يؤذي الجيران[23]، و أيضا من الذوق أن لا يتسكع الناس في الشوارع بل يقصدون في مشيتهم (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)(لقمان 3) و قد نهى النبي صلى اللّه عليه و سلم عن الجلوس في الطرقات لما فيه من إيذاء المارة و عدم غض البصر

للحفاظ على جمال العلاقات ورفعا للحرج شرّع الإسلام الاستئذان و حث عليه داخل البيت الواحد، و خاصة في أوقات العورات حيث يضع الناس ثيابهم، حيث نجد في الإسلام آداب الدخول على بعضنا البعض في البيت، حتى لا نرى بعضنا البعض في هيئات لا نحبها ، و توسع الاستئذان لإعلام الغير بالقدوم و الزيارة ، حتى في دخول الرجل على أهله بعد العودة من السفر حث النبي صلى اللّه عليه و سلم أن لا يدخل على أهله ليلا ، لتتمكن زوجته من الاستعداد لاستقباله بالاغتسال والتطيب و مشط الشعر .

العنوان الفرعي الثاني: جمال البيئة و الوسط التي نعيش فيها

خلق اللّه تعالى هذا الكون جميلا ، و استخلف فيه الإنسان، و سخر له كل ما في الطبيعة ، و ركب فيه الإحساس داخليا تذوق هذا الجمال و الارتياح له، فأينما نولي وجوهنا نرى جمال الكون في السماء في البحار في الحقول في الفصول ، في أنفسنا ، في عالم الحيوان ، ووجب على الإنسان عدم إفساد هذا الجمال ، و عدم العبث في الطبيعة .

لذا يحرص على البيئة النظيفة لأنها مسخرة له ، و فيها يجد راحته ، ليعيش فيها في جو صحي نظيف، لذلك حث النبي صلى اللّه عليه و سلم على غرس الأشجار فقال:"إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يَغرِسَها، فليَغرِسْها" 9، وحث النبي صلى اللّه عليه و سلم على إماطة الأذى عن الطريق فقال: "وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"10

أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بتنظيف الأفنية ، و نهى صلى اللّه عليه و سلم عن التبول في

ـ حديث "إذا قامت الساعة ... "رواه البخاري[9]–.

ـ حديث "و تميط الأذى ... "رواه مسلم[10]–.

الطرقات و أماكن الظل تحت الأشجار و موارد الماء.حفاظا على الطبيعة جميلة ، يرتاح فيها الإنسان و ينعم بخيراتها ، و بظلها و بمائها.

خاتمة:

_ الذوق الجمالي ما وافق لذة في النفس و تقبّل ، قد يكون في منظر في الطبيعة ،أو شعور في النفس البشرية، أو سلوك أو حديث فيتقبله القلب و تتأثر به الروح و تسر به.

_ الجمال يحيط بنا في كل مكان فقد خلق اللّه تعالى البحار و المحيطات و الشمس و القمر و المطر و الورود وبل الكون كله رمز للجمال .

_ الذوق الجمالي: تكمن أهمية الجمال في أنه يمكّن الإنسان من الحياة في نظام و ترتيب ، و في جو النظام تغيب الفوضى ، و بذلك يستطيع الإنسان أن يفكر و يبدع .

_ في الإسلام عناية بجمال بدن الإنسان، فنحافظ عليه من الأوساخ و الروائح الكريهة بالوضوء و الغسل و السواك.

_ الإسلام يحافظ على قلب الإنسان نقيا جميلا نقيا ، بعيدا عن الأمراض التي تتعبه و تفسده.

_ في الإسلام حث و تشجيع على جمال الخلق ، و جمال التعامل، و الابتعاد عن كل ما يسيء إلى خلق اللّه .

_ ركب الخالق تعالى في النفس البشرية الإحساس بالجمال وحبه ، تتذوق كلما هو جميل سواء في الطبيعة أو السلوك أو المناظر.

_ خلقت الطبيعة جميلة مسخرة للإنسان، لذا نهي عن الإفساد فيها ، ووجب عليه الحفاظ عليها لينعم بما فيها من خيرات متنوعة و نشكر اللّه تعالى على كل ذلك.

_ خلق اللّه تعالى لنا حواسا نتذوق بها الجمال من بصر و سمع و إحساس و قلب و شم و ذوق.

_ خلق اللّه تعالى لنا ما يريحنا في هذا الكون، فالذي خلقنا أعلم بما يريحنا.

الهوامش

[1] _ ابن فارس، دت، مقاييس اللغة ، ط1، ص17-18-20- 21

[2] _ مجمع اللغة العربية، دت، المعجم الوسيط، ، القاهرة ، ج1، ص 98

[3] _ ابن منظور، جمال الدين، 1988، لسان العرب، دار الجيل ، بيروت ، دار لسان العرب،دط، ج1، 364

[4] _ بن نبي، مالك، 1984، مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين،، الجزائر ، دار الفكر، دمشق، ر ، دار الفكر، ط1، ص 25

[5] _ بن نبي ، مالك، 1984، مشكلة الثقافة ، الجزائر ، دار الفكر، دمشق ، دار الفكر، ط4، ،ص 74

[6] _ بن نبي، مالك ، 1984، شروط النهضة الجزائر ، دار الفكر ، دمشق، دار الفكر ، ص 124

[7] _ المصدر نفسه، ص 78

[8] _ برغوث ، الطيب، 1993، موقع المسألة الثقافية من التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،الجزائر ، دار الينابيع، ص 14

[9] _ عبد العزيز، أمير، 1933ه، دراسات في الثقافة الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، ص 15

[10] _ المرجع نفسه، ص 17

[11] _ شريف العمري، نادية، 1986 ، أضواء على الثقافة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط4، ص 17

[12] _ العمري، نادية شريف، أضواء على الثقافة الاسلامية، ص31_ 33

[13] _ سحته حسن محمد، إيمان، ملكة الذوق عند المفسر و أثرها في إبراز جمال اللفظة القرآنية، ص 184

[14] _ العمرو، عبد اللّه بن محمد ، 1437ه، معايير الجمال في الرؤيتين الإسلامية و الغربية ، مجلة العلوم الشرعية ، العدد38، ص 7

[15] _ المرجع نفسه، ص 7

[16] _ كرزابي، عبد الغني لقمان، الذوق الجمالي في الأدب النسوي العربي المعاصر، رواية كوبيس بيروت، لغادة السمان ، جامعة ابو بكر بلقايد، كلية العلوم الاداب، 2017_2018، ص 18

[17] _ البسيوني، محمود، 1986، تربية الذوق الجمالي، دار المعارف العلمية، ص 49

[18] _ بن نبي، مالك ، شروط النهضة ، ص 139

[19] _ المرجع نفسه، ص 132

[20] بن نبي، مالك، 1986، ميلاد مجتمع، الجزائر ، دار الفكر، دمشق ، دار الفكر ، ص115_ 116

[21] _ الحمد، محمد بن إبراهيم ، 1436، عناية الإسلام بالصحة و النظافة، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ص 47

[22] بن نبي، مالك ،1986، ميلاد مجتمع، ص 12

[23] _العثيمين، محمد بن صالح، تفسير سورة لقمان، صفحته على الأنترنيت أهل الحديث و الأثر ، تم الدخول يوم 20 ماي 2024 ، https://www.alathar.net/home/esound/index.php?op=codevi&coid=210075 الساعة 1.45 صباحا